تاريخ الاستلام: 2023/11/03م تاريخ القبول: 2023/11/15 تاريخ النشر: 2023/12/31م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن كلية التربية بجامعة الزاوية
العدد الثامن والعشرون – ديسمبر/ 2023م

المدح والذم في السيرة النبوية

دراسة نحوية في صحيح مسلم

عائشة الأمين محمد عمر سليمان
قسم اللغة العربية – كلية كلية التربية / أبو عيسى – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
Email: Aisha.Suleiman.ly@gmail.com

الملخص:

صحيح مسلم هو أحد الكتب الستة من كتب الحديث النبوي الشريف، ويُعدَ بحث المدح والذم من الموضوعات المهمة التي وردت في صحيح مسلم، وقد عرض هذا البحث بعض الأحاديث التي تتحدث عن المدح والذم للأفراد والأعمال والصفات، فهو يتضمن بعض أساليب المدح في حق الصحابة والعلماء والأشخاص البارزين في التاريخ الإسلامي وإبراز أفعالهم، وصفاتهم الحميدة وتذكير المسلمين بأهمية اتباعها.

كما يمكن استخلاص بعض الدروس والفوائد من تلك الأحاديث والسعي لاتباع سنته –صلى الله عليه وسلم– ومن خلال ذم المشاركين والمنافقين ندرك أهمية الاستقامة والابتعاد عن السلوكيات السيئة.

كل ذلك من خلال دراسة أسلوب المدح وأسلوب الذم ، وتركيبها وتحليل العناصر التي يتكون منها وتطبيقها على بعض الأحاديث، فكانت البداية بفعل المدح أو الذم ثم فاعل فعل المدح أو الذم وأحواله، ثم دراسة المخصوص بالمدح أو الذم ،وعرض بعض الأمثلة من أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم– أو أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ثم ختم البحث ببعض النتائج.

كلمات مفتاحية: صحيح مسلم ــ الإمام مسلم ــ أسلوب المدح أو الذم

Praise and blame in the biography of the Prophet, a grammatical study in Sahih Muslim

Aisha Al-Amin Muhammad Omar Suleiman
Department of Arabic Language - Faculty of Education - Zawia University
Azzawia -Libya
EMAIL: Aisha.Suleiman.ly@gmail.com

ABSTRACT

Sahih Muslim is one of the six books of the Noble Prophet's Hadith. The study of praise and blame is one of the important topics mentioned in Sahih Muslim. This research presented some hadiths that talk about praise and blame for individuals, deeds, and attributes. It includes some methods of praise for the Companions, scholars, and people. Prominent figures in Islamic history, highlighting their actions and good qualities, and reminding Muslims of the importance of following them.

It is also possible to draw some lessons and benefits from these hadiths and strive to follow his Sunnah - may God bless him and grant him peace - and through condemning the participants and hypocrites, we realize the importance of integrity and staying away from bad behavior.

All of this is through studying the style of praise and the style of condemnation, their composition, and analyzing the elements that make them up and applying them to some hadiths. The beginning was with the verb of praise or blame, then the subject of the action of praise or blame and its circumstances, then studying the specifics of praise or blame and presenting some examples from the sayings of the Messenger - may God bless him and grant him peace. And peace be upon them - or the sayings of the Companions, may God be pleased with them. Then the research concluded with some results.

المقدَمة:

صحيح مسلم من أهم كتب الحديث النبوي الشريف، فهو يحتوي على مجموعة واسعة من الأحاديث التي تغطي مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية، ويُعدَ أسلوب

المدح والذم أحد الأساليب اللغوية المستخدمة في صحيح مسلم للتعبير عن الثناء والإشادة، أو الانتقاد والذم في الأحاديث المروية.

أسباب اختيار الموضوع:

1- دراسة الأساليب اللغوية للحديث الشريف ودلالاتها.
2- دراسة تأثير أسلوب المدح والذم في فهم الأحاديث وتطبيقها.

أهمية الدراسة:

1- تحليل، أساليب المدح والذم الواردة في الحديث.
2- تأثير استخدام أسلوب المدح والذم على التأويل الصحيح للأحاديث.

إشكالية الدراسة:

1- ما هو دور أسلوب المدح والذم في صحيح مسلم؟
2- كيف يؤثر أسلوب المدح والذم في فيم الأحاديث وتطبيقها؟

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث سيتم تحليل أسلوب المدح والذم في صحيح مسلم من خلال دراسة بعض الأحاديث وتحليل تراكيبها ومعانيها، وسيتم استخدام المنهج النقدي لاستنباط النتائج وتوجيه التأويلات الصحيحة للأحاديث.

مادة الدراسة:

تتمثل مادة الدراسة في الأحاديث النبوية الواردة في صحيح مسلم، وقد يكون بينها بعضا من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

التمهيد:

أسلوب المدح والذم من الأساليب التي تساعد على إيصال المعنى بسهولة، لما له، وقع في النفس، فهو أسلوب لغوي يراد منه المدح أو الذم على سبيل المبالغة، فلغة الحديث بما فيها من جمال لغوي، فيها من القوة والمتانة ما يجعلها قادرة على أداء المعنى بسلاسة ودقة ، وهذا ما نجده في مدحه وذمه صلى الله عليه وسلم.

التعريف بأسلوب المدح والذم:

هناك ألفاظ وأساليب في اللغة تدل على المدح أو الذم، وبعضها يؤدي هذه الدلالة بنفسه، وبعضها لا يؤديها إلا بقرينة، فالأول: هو ما يدل على المدح أو الذم بنفسه، كقولنا: أمدح، أثني، أذم، أهجو والثاني الذي لا يدل على المدح أو الذم إلا

بقرينة فهو كثير ينتج من أساليب أخري، كالنفي، أو الاستفهام، أو التعجب، أو التفضيل، أو نحوها (عباس حسن ، 3 / 367)، فقد تضم دلالة الذم إلى دلالتها الأصلية.

عناصر الأسلوب في المدح أو الذم:

يتكون أسلوب المدح أو الذم من عناصر هي:

الأول: فعل المدح أو الذم، **الثاني:** فاعل فعل المدح أو الذم، **الثالث:** المخصوص بالمدح أو الذم.

أولاً: فعل المدح أو الذم:

فعل المدح أو الذم فعل جامد، وهو فعل ماض إلا أنه يتجرد من دلالته الزمنية وينقسم إلى:

أ- الفعل الذي يفيد المدح العام أو الذم العام:

وهما الفعلان (نعم وبئس) (فنعم) تدل على المدح العام، و(بئس) تدل على الذم العام، وهما فعلان غير متصرفين عند البصريين، واسمان عند الكوفيين (الأنباري ، 2002م ،ص: 86).

وهما فعلان لا يتصرفان لخروجها عن الأصل في الأفعال من الدلالة على الحدث والزمن، فأشبهها الحرف (الصبان ، 1997م ، 28/3).

لأنهما فعلان "تفرغا من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان للدلالة على المدح أو الذم في أسلوب خاص فعندما نقول: (نعم الرجل زيدُ، أو بئس الرجلُ زيدُ) فنحن قد مدحنا زيدا مدحا عاما، وفي الجملة الثانية ذممنا زيدا ذما عاماً وهذا على سبيل المبالغة. (نعم) أو (بئس) تدخل على اسمين مرفوعين يعرب الأول فاعلاً والثاني مخصوصاً بالمدح

أو الذم، والفاعل لابد أن يكون معرفة أو ضميرا مفسرا بنكرة منصوبة كقولنا: نعم رجلا زيد، وبئس رجلا زيد ويجوز حذف المخصوص ويكون إعراب الجملتين كالتالي:

نعم الرجل زيدُ:

نعم: فعل ماضٍ جامد يفيد المدح.

الرجلُ: فاعل فعل المدح مرفوع.

زيدُ: مبتدأ مؤخر مرفوع وهو المخصوص بالمدح وخبره جملة (نعم الرجل) (السامرائي ، 1983م، ص: 74).

– نعم رجلا زيد.

نعم: فعل ماضٍ جامد يفيد المدح.

الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يفسره التمييز.

رجلا: تمييز منصوب.

زيد: مخصوص بالمدح مبتدأ مؤخر وخبره جملة (نعم رجلاً).

بعض النماذج من الأحاديث الواردة في صحيح مسلم:

1- "عن ابن عمر.... قال النبي _صلى الله عليه وسلم_: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل، قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً"(صحيح مسلم، 1927/4 رقم الحديث (2479).

في هذا الحديث استعمل الرسول _صلى الله عليه وسلم _أسلوب مدح بالفعل (نعم) وفاعله ظاهر (الرجل) ثم وضح المخصوص بالمدح هو عبد الله وقد كان مدحه للرجل مشترطا بقيامه بصلاة الليل ،أي القيام وهذا يدل على أن قيام الليل سنة مؤكدة، وهو من صفات عباد الرحمن، لما فيها من خشوع القلب واللسان وانقطاع مشاغل الدنيا.

2- "عن أبي هريرة، أنه كان يقول: بئس الطعام طعام الوليمة، يُدْعى إليه الأغنياء ويترك المساكين، فمن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله" (صحيح مسلم، 1054/2، رقمه (1432).

ورد في هذه الحديث فعل الذم (بئس) وقد أفاد الذم العام إذ إنه يذم الطعام ولكن في حالة معينة، وهر اذا دعي إليه الأغنياء من دون الفقراء، وهذه الوليمة ستكون وليمة

مقربة الى الله؛ لأنه لا يدعى إليها من هم أحق بها و الفقراء بل يدعى إليها الأغنياء وفي هذا دلالة على أن الإنسان إذا دعا إلى وليمة فإنه يدعو أقاربه وجيرانه وأصحابه ومن يعرفهم من المسلمين ،وبالقطع سيكون في هؤلاء الغني والفقير، أما تخصيص الأغنياء بالدعوة فهذا هو ما ذمه نص الحديث وأسلوب الذم الوارد في الحديث دخل فيه الفعل (بئس) على فاعل اسم ظاهر معرَّف بـ(ال) وهو (الطعام) أما المخصوص بالذم فهو (طعام الوليمة).

ب- الفعل الذي يفيد المدح الخاص أو الذم الخاص:

الأصل في المدح أو الذم هما الفعلان (نعم، بئس) ويجوز تحويل كل منهما إلى (فعل) بقصد المدح أو الذم إذا كان الفعل مستوفيا لشروط التعجب، وسواء كان مضموم العين أصالةً كـ(شرُفَ) أم تحويلا كـ(فَهُمَ)، فهو هنا يستعمل بمعني (نعم أو بئس) كقولنا: (كزم الرجل سعيد)، و(خَبُثَ الرجلُ زيدً) وتحويل الفعل في هذه الحالة جامداً، ولازما (السامرائي، 2007م، 255/4).

فـ"كل فعل ثلاثي صالح للتعجب منه، فإنه يجوز استعماله على (فَعُلَ) بضم العين إما بالأصالة كـ(ظَرُفَ وشَرُفَ) أو بالتحويل كـ(ضَرُبَ وفَهُمَ) ثم يجري حينئذ مجرد نعم أو بئس في إفادة المدح أو الذم (ابن هشام ، 280/3).

يقول الخضري: لكن (فَعُلَ) يخالف (نعم وبنس) في ستة أمور:

اثنان في معناه: إشرابه التعجب وكونه للمدح الخاص أو للذم الخاص.

واثنان ف فاعله الظاهر: جواز خلوه من (ال) نحو قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ (سورة النساء من الآية 69) وكثر جره بالباء الزائدة تشبيها بـ(أسْمِعْ بهم).

واثنان في فاعله المضمر: جواز عوده، ومطابقته لما قبله، ففي: (زيد كَرُمَ رجلا) يحتمل عود الضمير على (رجلاً) كما في نعم، على (زيد) كما في فعل التعجب لتضمنه معناه، وتقول: (الزيدون كرم رجالاً) على الأول، وكَرَمُوُ (رجالا) على الثاني (الخضري ، بدون ط، 45/2).

ثانيا: فاعل فعل المدح أو الذم

وله حالات أربعة هي:

1- أن يكون اسما ظاهرا معرفا بـ(ال) كقولنا: نعم الرجل زيدُ، وقد اختلف النحاة في (ال) فمنهم من ذكر أنها للجنس حقيقة أو مجازاً (سيبويه ، 301/1)، ومنهم من ذكر أنها للعهد الذهني ،أو العهد الشخصي (الأزهري ، 2000م، 77/2) ورجح بعضهم كونها للجنس أفضل، كقولنا: (نعم الفاكهةُ التفاحُ) فالفاكهة جنس عام، والتفاح قسم منه، وخصه بالمدح عن غيره فـ(ال) هنا جنسية (معاني النحو 257/4).

ومن هذه الصورة ورد كثير من الأحاديث في صحيح مسلم منها:

أ- "عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، أن النبي _صلى الله عليه وسلم _قال: نعم الأدمُ – أو الإدَامُ – الخل" (صحيح مسلم 1621/3 رقمه (2051).

أسلوب المدح الوارد في الحديث نعم الأدُمُ (الخلُّ) جاء فيه الفاعل (الأدُمُ) وهو فاعل فعل المدح مرفوع، وهو عام و(الخل) هو المخصوص بالمدح وهو خاص، وهو جزء من الإدام ف (ال) جنسية أي لبيان الجنس، لأن الإدام جنس عام والخل قسم منه.

في هذا الحديث أسلوب مدح لنوع معين من الأدم وهو الخل وقد أثنى عليه الرسول _صلى الله عليه وسلم _لأنه أفضل من سائر الأدم باستخدامه فعل المدح (نعم) مع الفاعل المعروف بـ(ال) (الأدُمُ) والمخصوص بالمدح (الخَلّ).

ب- "عن محمد، قال: قال جندب: جِئْتُ يوم الجَزَعَة فإذا رجل جالس، فقلت: لَيُهْرَقَنَّ اليوم هاهنا دماء، فقال ذلك الرجل: كلا والله، قلتُ: بلى والله قال: كلا والله، وقلت: بلى، والله قال: كلا والله إنه لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حدَّثنيه، قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم، تسمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فلا تنهاني، ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقْبَلْتُ عليه وأسْأَلُه، فإذا الرجل حُذَيْفة" (صحيح مسلم 2219/4 رقمه (2893).

قوله _صلى الله عليه وسلم_: (بئس الجليس لي أنت) أسلوب ذم مكون من فعل الذم (بئس) وهو فعل ماض جامد مبني على الفتحة، والجليس فاعل فعل الذم مرفوع بالضمة، و(ال) فيه هنا للجنس العام، لأن الجليس عام يضم كل الأشخاص الذين ينطبق

عليهم هذا اللفظ، ولكن جاء المخصوص بالذم وهو قوله: (أنت) ضمير منفصل للمخاطب في محل رفع وهو جزء من الجنس العام (الجليس)، إذاً فـ(ال) هنا لبيان الجنس العام.

2- أن يكون الفاعل مضافا إلى ما فيه (ال):

وقد ورد في أحاديث كثيرة منها:

أ- "... عن عروة بن الزبير يقول: حدثتني عائشة أن رجلا استأذن على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ائذنوا له فلبئس ابن العشيرة أو بئس رجلُ العشيرة، فكما دخل عليه أَلاَنَ له القول، قالت عائشة: فقلتُ: يا رسول الله قلت له الذي قلتُ ثم ألنتُ له القول؟ قال: يا عائشة إن شرَّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من وَدَعَهُ، أو تركه الناس انقاء فُحْشَهِ" (صحيح مسلم 2002/4 رقمه (2591).

استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذم في الحديث (بئس ابن العشيرة) يبدأ بفعل الذم (بئس) وفاعله نكرة مضاف إلى معرف بـ (ال) (ابن العشيرة) أو (رجل العشيرة) فـ(ابن) أو (رجل) فاعل فعل الذم مضاف إلى ما فيه (ال) العشيرة.

ب- عن ابن المنكدر قال: بئس أخو القوم وابن العشيرة" (المصدر السابق 2003/4 رقمه (2591).

فعل الذم (بئس) وفاعله (أخو) وقد أضيف إلى ما فيه (ال) (القوم) وعلى هذا يكون إعراب هذا الأسلوب كالتالي:

بئس: فعل ماض جامد يفيد الذم.

أخو: فاعل فعل الذم مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الستة وهو مضاف.

القوم: مضاف إليه مجرور.

3- أن يكون ضميرا مستترا مفسرا نكرة:

وهذه النكرة تعرب تمييزا، كقولنا: (نعم رجلا زيد) وكقوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (سورة الكهف من الآية 5) قوله: "بدلا" تمييز منصوب مفسر للضمير المستتر في

(بئس) وقد استغني عنه، و(الظالمين) هم المشركون، وإظهار الظالمين في موضع الإضمار للتشهير بهم (بن عاشور ، 1984م، 84/15).

وقد ذكر الأشموني أن فاعل نعم أو بئس ضمير مستتر في الفعل، أما الكسائي فيري أن الاسم المرفوع بعد النكرة المنصوبة هو فاعل نعم أو بئس، والنكرة منصوبة على الحال، وهذا ما ذهب إليه الفراء (الصبان ،48/3) أيضا إلا أنه جعل النكرة منصوبة على التمييز، أما سيبويه فذهب إلى أن في نعم أو بئس ضمير مستكن هو الفاعل، فقولنا: نعم رجلا زيد ف رجلا تمييز منصوب (الكتاب 177/3).

4- قد يكون فاعل فعل المدح أو الذم اسما موصولا:

ومن ذلك ما جاء في هذا الحديث:

- "عن محمد بن عبد الرحمن أن رجلا من أهل العراق قال له: سَلْ عن عروة بن الزبير عن رجلُ يهلُّ، بالحج فإذا طاف بالبيت أيَحِلُّ أم لا؟ فإن قال، لك: لا يَحِلُّ فقل له: إن رجلا يقول ذلك، قال: فَسَأَلْتُهُ فقال: لا يحل مَنْ أَهَلَّ بالحج إلا بالحج، قلت: فإن رجلاً كان يقول ذلك، قال: بئس ما قال، فتصداني الرجلُ فسأَلني فحَدَّثتُه (صحيح مسلم، 906/2، رقمه (1235).

أسلوب الذم الوارد في الحديث (بئس ما قال) وهو مكون من فعل الذم (بئس) وفاعله (ما) هو هنا اسم موصول مبني في محل رفع وقد تكون (ما) نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على أنها تمييز وحينئذ يكون الفاعل ضميرا مستترا وجوبا.

اتصال (ما) بـ(نعم) وبئس:

يجوز أن تتصل (نعم أو بئس) بـ(ما) فتصبح (نعم ما) و(بئس ما) وقد تدغم ميم نعم في ميم (ما) فتصبح (نعماً) بعد طرح حركة الميم الأولي وتنزيلها منزلة الكلمة الواحدة مع كسر العين (بن عاشور 164/4).

وللنحاة في إعراب (ما) بعد (نعم) أو (بئس) ثلاثة أقوال:

الأول: (ما) نكرة تامة بمعنى شيء في موضع نصب على التمييز، والفاعل ضمير مستتر، والمرفوع بعدها هو المنصوب.

الثاني: (ما) معرفة تامة وهي الفاعل، وهذا ما ذهب إليه سيبويه والمبرد وابن السراج (الفراء–1983م، 56/1).

الثالث: (ما) مركبة مع الفعل ولا موقع لها من الإعراب والمرفوع بعدها هو الفاعل وهذا ما أجازه الفراء (الأشموني، 1998م، 298/2).

"و(ما) جّوَّز النحاة أن تكون اسما موصولا، أو نكرة موصوفة أو نكرة تامة، والجملة التي بعد (ما) تجري على ما يناسب معنى (ما) وقيل: (ما) زائدة كافة لـ(نَعْمَ) عن العمل (بن عاشور، 164/4).

وتكون (نعما) على ثلاثة أقسام:

1- مفردة غير متبوعة بشيء، وهي هنا معرفة تامة فاعل، والمخصوص بالمدح محذوف، كقولنا (دققته دقا نِعِمَّا) أي: نعم الشيء الدقُ.

2- أن تكون متبوعة بمفرد نحو قوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ (سورة البقرة من الآية 271) فـ(ما) هنا تعرب فاعلاً، و(هي) المخصوص بالمدح.

3- أن تتبع بجملة فعلية، فتعرب (ما) نكرة منصوبة على التمييز (الجدول في إعراب القرآن، ط4، 120/3)، والمخصوص محذوف، ومن هذا النوع ورد بعض الأحاديث في صحيح مسلم، ومنها:

أ- "قال عروة بن الزبير لعائشة: ألم تريْ إلى فلانة بنت الحكم طلقها زوجها ألبتة فخرجت فقالت: بئسما صنعت، فقال: ألم تسمعي إلى قول فاطمة؟ فقالت: أما إنه خير لها في ذكر ذلك" (صحيح مسلم، 1121/2 رقمه (1481).

في هذا الحديث ورد أسلوب الذم (بئسما صنعت) وقد أتبع الفعل (بئس) بـ(ما) وأدغمت فيها فأصبحت (بئسما)، وأتْبعتْ (ما) بجملة فعلية هي (صَنَعَتْ) فَيصبح إعراب (مَا) هنا نكرة منصوبة على التمييز أما المخصوص بالذم فهو محذوف.

ب- "... فأتوا رسول الله _صلى الله عليه وسلم _فذكروا ذلك له، فقال: سبحان الله، بئسما جَزَتْها، نَذَرَتْ الله إن تجَّاها الله عليها لتَتْحَزَنَّها..." (صحيح مسلم 1262/3 رقمه (1641).

ذكر الرسول –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث أسلوب ذم (بئسما جزتها) وقد أتبعت (بئس) بـ(ما) وهي حسب ما ذكر النحاة سابقا نكرة منصوبة على التمييز؛ وذلك لأنه تبعها جملة فعلية (جزتها) وهي المخصوص بالذم، وفاعله ضمير مستتر فيه.

ج– "عن شقيق بن سَلَمَة قال: سمعت ابن مسعود يقول: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: بئسما للرجل أن يقول: نسيتُ سورة كَنت وكيتَ، أو نسيتُ آية كَيتَ وكَيْتَ، بل هو نسْيٌ" (صحيح مسلم 544/1 رقمه (7900).

استعمل الرسول –صلى الله عليه وسلم– أسلوب ذم هو (بئسما للرجل أن يقول نسيتُ سورة كيت وكيتَ) وفعل الذم هنا اتصل بـ(ما) وهي نكرة تامة في محل نصب على التمييز، وفاعله ضمير مستتر في الفعل، وتبعه جملة فعلية تستهل بفعل مضارع منصوب بـ(أن) وهي المخصوص بالذم.

د– "عن همام بن مُنَبّهٍ، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فذكر أحاديث منها، وقال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: نعمَّاً للملوك أن يُتَوَفَّى يُحْسِنُ عبادة الله، وصَحَابَة سَيِّده، نعمَّاً له" (صحيح مسلم 1285/3 رقمه (1667).

ورد في هذا الحديث أسلوب مدح استخدم فيه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فعل المدح (نعم)، متصلا بـ(ما) فأُدغمتْ فيه، وأصبح (نعمّاً) و(ما) هنا نكرة في محل نصب على التمييز والمخصوص محذوف وذلك قوله: نعما للملوك، و(نعما له) حيث أتبع الفعل بالجار والمجرور في الجملتين.

الأساليب التركيبية لأسلوب المدح أو الذم بـ (نعم) أو (بئس):

تأتي نعم وبئس على أنماط مختلفة منها:

1– أن يدخل الفعل على الفاعل ثم المخصوص بالمدح أو الذم كقولنا: (نعم الفتاة هندُ، وبئس الخلق الكذب، وقد وردت أحاديث كثيرة من هذا التركيب منها:

أ– "عن عائشة أن أسماء سألت النبي –صلى الله عليه وسلم– عن غسل المحيض... فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياءُ أن يتفقَّهْنَ في الدين" (صحيح مسلم 261/1 رقمه (332).

في هذا الحديث استعملت عائشة رضى الله عنها الفعل (نعم) وبعده الفاعل (النساء) ثم جاء المخصوص بالمدح وهو نساء الأنصار.

ب- "عن تميم بن طرفة عن عدي بن حاتم أن رجلا خطب عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: من يطع الله ورسوله فقد رَشَدَ، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: بئس الخطيب أنت، قلْ: ومن يعص الله ورسوله فقد غَوِيَ (ا 594/2 رقمه (870).

في هذا الحديث استخدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- فعل الذم (بئس) مع الفاعل المرفوع (الخطيب) ثم أتى بالمخصوص بالذم وهو ضمير المخاطب (أنت) يعود على الرجل الذي خطب في حضرة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

2- أن يُؤْتَى بالفعل، ويضمر الفاعل ويؤتى بتمييز يفسر الفاعل كقولنا: نعم رجلاً زيدُ.

3- أن يؤتى بالمخصوص بالذم أو المدح أولاً ،ثم يأتي بعده الفعل والفاعل، كقولنا: زيداً نعم الرجلُ، والكذب بئس الخلقُ.

4- أن يؤتى بالمخصوص ثم الفعل ثم التمييز كقولنا: زيدُ نعم رجلاً.

5- يجوز حذف المخصوص إذا كان في الكلام ما يدل عليه أي: يبقى في الأسلوب الفعل والفاعل فقط وقد ورد هذا النوع في صحيح مسلم، ومنه ما يلي:

أ- "... عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام كان جاراً له فأخبره أنه طلق امرأته، واقْتَصَّ الحديث بمعنى حديث سعيد، وفيه قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر، قالت: نعم المرءُ، كان أصُيب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- يوم أحد" (صحيح مسلم 514/1 رقمه (746).

ورد أسلوب مدح في هذا الحديث استخدم فيه فعل المدح (نعم) وفاعله (المرء) فاعل مرفوع، وحذف منه المخصوص بالمدح وذلك لدلالة الحديث عليه وتقديره: نعم المرء هشام بن عامر.

ب- "... ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وهي تقول: حَسْبِي الله ونعم الوكيل، فقالت أمه: اللهم لا تجعل ابني مثلها..." (المصدر السابق 1976/4 رقمه (2550).

أسلوب المدح الوارد في هذا الحديث (نعم الوكيل) جاء مكونا من الفعل والفاعل فقط وحذف المخصوص بالمدح وذلك للدلالة عليه فـ(نعم) فعل المدح، والوكيل فاعله والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره (هو) (لفظ الجلالة الله سبحانه) والتقدير (نعم الوكيل هو) فهذه المرأة انعدمت عندها وسائل الخلاص والدفاع عن نفسها فاستنجدت بالواحد القهار فهو حسبها وكافيها.

ثالثاً– المخصوص بالمدح أو الذم

المخصوص بالمدح أو الذم هو اسم مرفوع بعد الفعل وهو المقصود بالمدح أو الذم، ويأتي على صورتين:

الأولي: أن يكون المخصوص اسما مرفوعا.

الثانية: أن يكون ضميراً وله حالتان:

أ– أن يكون ضميرا مستترا.

ب– أن يكون ضميراً ظاهرا.

ويذكر المخصوص بعد فاعل (نعم أو بئس) أو بعد التمييز كقولنا: نعم الرجل أبو بكر، ونعم رجلاً أبو بكر.

إعراب المخصوص بالمدح أو الذم:

المخصوص بالمدح أو الذم له أربعة أوجه في الإعراب:

1– أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبر له.

فقولنا: (نعم الرجلُ زيدُ) فـ(زيدُ) مبتدأ مؤخر والجملة من فعل المدح والفاعل (نعم الرجل) في محل رفع خبر له.

2– أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف أي تقديره: هو زيد في قولنا: نِعْمَ الرجلُ زيدُ.

3– أن يكون مبتدأ خبره محذوف وجوباً.

4– أن يكون المخصوص بدلا من الفاعل (ابن مالك ،1990 3/ 61).

وفي هذا يقول ابن هشام: "يأتي المخصوص بالمدح أو بالذم بعد فاعل (نعم وبئس) فيقال: نعم الرجلُ أبو بكر، وبئس الرجلُ أبو لهب)، وهو مبتدأ والجملة

قبله خبره، ويجوز أن يكون خبرا لمبتدأ واجب الحذف أي: الممدوح أبو بكر، والممدوح أبو لهب" (ابن هشام 280/3).

أما إذا تقدم المخصوص فيتعين كونه مبتدأ نحو: (زيدُ نعم الرجُل) وقد يتقدم ما يُشْعُر به فيحذف نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ العَبْدُ﴾ (سورة ص، الآية: 44).

أي: هو

وفي هذا يقول سيبويه: "واعلم أنه محال أن تقول: عبد الله نعم الرجل، و(الرجل) غير عبد الله كما أنه محال أن تقول: (عبد الله هو فيها) وهو غيره، واعلم أنه لا يجوز أن تقول: قومك نعم صغارهم وكبارهم، إلا أن تقول: (قومُكَ نعم الغار ونعم الكبار) و(قومُك نعم القومُ) ولك لأنك أردت أن تجعلهم من جماعات ومن أهم كلهم صالح، كما أنك إذا قلت: (عبد الله نعم الرجل) فإنما تريد أن تجعله من أمة كلهم صالح، ولم ترد أن تعرف شيئاً بعينه بالصلاح بعد نعم" (سيبويه ، 177/2).

مطابقة المخصوص للفاعل:

المخصوص بالمدح أو الذم يجب أن يكون مجانسا للفاعل أو لمميزه، إن كان الفاعل ضميرا مستترا، فلا يقال: (نعم الرجلُ فرسُ زيد) لأن الفرس ليس من جنس الرجال فحق المخصوص أن يطابق الفاعل أو مميزه، فيقول: (نعم الرجل زيدٌ) (انظر: ابن يعيش، 2001م، 403/4).

المدح والذم بـ(حبذا ولا حبذا):

(حبذا) تستعمل للمدح وهي مركبة من الفعل (حَبَّ) و (ذا)، حبَّ: فعل ماضٍ، و(ذا) فاعله، ومعناها أي: صار الشيء محبوباً (السيوطي 45/5).

واذا جاءت (لا) النافية قبل حبذا فتكون للذم وقد اختلف النحاة في إعراب (حبذا) وهي على ثلاثة أقوال:

1- أولها: أنه غير مركب، والاسم المرفوع بعده لا يجوز تقديمه على (حبذا)، لأن (حبذا) لها صدر الكلام.

2- ثانيها: أن (حبَّ) ركبت مع (ذا) وهو في تقدير اسم مرفوع بالابتداء، وزيد خبره، في قولنا: (حبذا زيدُ).

3- وثالثها: أنه جعل التركيب كالفعل، وارتفع (زيدُ) به (العكبري، 1995 1995م).

"والأصل في (حبذا): (حَبُبَ ذا) إلا أنه لما اجتمع حرفان متحركان من جنس واحد، استثقلوا اجتماعهما متحركين فحذفوا حركة الحرف الأول، وأدغموه في الثاني، فصار: حبَّ، وركبوه مع (ذا) فصار بمنزلة كلمة واحدة، ومعناها المدح، وتقريب الممدوح من القلب" (الأنباري، 1995م، 111/1).

اسمية (حبذا) أو فعليتها:

اختلف النحويون في اسمية (حبذا) أو فعليتها فذهب أكثر النحويين إلى أن الغالب عليها الاسمية وذلك لأن الاسم أقوى من الفعل، فلما ركب أحدها مع الآخر كان التغليب للأقوى الذي هو الاسم دون الأضعف الذي هو الفعل، وذهب بعضهم الى أن الغالب عليها الفعلية وذلك لأن الجزء الأول منهما فعل، فغل عليما الفعلية؛ لأن القوة للجزء الأول، وذهب آخرون إلى أنها لا يغلب عليها اسمية ولا فعلية بل هي جملة مركبة من فعل ماض واسم هو فاعل فلا يغلب أحدهما على الأخر (الأنباري 1995 ، 112/1).

وهذا هو الرأي الراجح، فـ (حبذا) مكونة من الفعل الماضي (حَبَّ) والفاعل (ذا)، و(ذا) لا يتغير من الإفراد والتذكير، فتقول: حبذا زيد، وحبذا الزيدان، وحبذا الزيدون، ولا يجوز تقدم المخصوص على (حبذا) (ابن هشام 292/2).

أي لا يجوز أن تقول: (زيد حبذا) (السيوطي 32/3).

ولم أعثر في صحيح مسلم على حديث يحتوي على (حبذا) أو (لا حبذا).

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن القول إن أسلوب المدح والذم هو أداة قوية تستخدم في الأدب والخطاب وحتى في الحياة اليومية للتعبير عن الإشادة ،أو الانتقاد يعتمد هذا الأسلوب على استخدام الكلمات بشكل مثير للانتباه، بهدف إبراز الصفات الإيجابية أو السلبية للشخص أو الشيء المستهدف.

تبين من خلال هذا البحث أن المدح يستخدم للتعبير عن الإعجاب والتقدير، وغالباً ما يتم استخدامه لتعزيز الثقة ورفع معنويات الأفراد، ويتضمن استخدام الكلمات الجميلة والمديح والإشادة بالمواهب والإنجازات يمكن أن يكون له تأثير إيجابي كبير على الأفراد ويحفزهم على تحقيق المزيد والتطور.

أما الذم فهو استخدام الكلمات والعبارات السلبية والانتقادية للتعبير عن الرفض أو الاستهجان وقد يستخدم أحيانا للتحذير من سلوك غير مرغوب فيه أو لإظهار العيوب والقصور.

وكان كل ذلك محصورا في الأحاديث النبوية الواردة في صحيح مسلم إلا أننا وجدنا أن أسلوب الذم ثَمَّ استخدامه بحذر، حيث إنه يمكن أن يسبب جرحا وضرراً للأفراد، ويؤثر على ثقتهم وتفكيرهم الإيجابي.

بالاعتماد على دراسة المدح والذم الواد في أحاديث صحيح مسلم يمكن القول إن أسلوب المدح أو الذم في أحاديث –صلى الله عليه وسلم– يعكس تنوع اللغة وقوتها في التأثير على المستمعين، فهذا الأسلوب يتطلب فهمًا عميقًا للسياق، فالكلمات لها قوة كبيرة ويجب استخدامها بحكمة ودقة وهذا ما لمسناه في الأحاديث النبوية الشريفة، فالقدرة على استخدام أسلوب المدح أو الذم بشكل فعال يمكن أن تكون أداة قوية في التواصل وفهم المعنى بشكل دقيق.

وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

1- تأثير أسلوب المدح أو الذم على العواطف والمشاعر، وقد يدفع إلى الترغيب في العمل يجد.
2- يُعد أسلوب المدح والذم جزءاً من السنة النبوية التي تعتمد على الترغيب في شريعتنا والترهيب والتنفير منها حرَّم الله.
3- يتم استخدام أسلوب المدح والذم في الأحاديث النبوية للتعبير عن الإشادة بالأفعال الحسنة والأخلاق الحميدة، وأيضاً التنبيه على السلوكيات السيئة .
4- المدح والذم في السنة النبوية ليس الغرض منها المدح والذم بحد ذاته وإنما لتوجيه المسلمين وتعليمهم القيم والأخلاق الحميدة وتحذيرهم من السلوكيات السيئة.

فهرس المصادر

القرآن الكريم برواية قالون بن نافع

1- أسرار العربية، عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبد الله بن أبي سعيد تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

2- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي، تحقيق: جودي مبروك محمد مبروك، راجعه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002م.

3- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيد بيروت، بدون طبعة.

4- التحرير والتنوير المعروف تفسير بن عاشور، محمد الطاهرين محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م.

5- التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لخالد بن عبد الله الأزهري تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

6- الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق ط4، 1418هـ.

7- حاشية الصبان على شرح الأسموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، 1997م.

8- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، بدون ط.

9- شرح التسهيل لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ، 1990م.

10- شرح المفصل للزمخشري، أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش، قدم له وضع هوامشه وفهارسه: د إميل بديع يعقوب، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ط1، 1422هـ- 2001م

11- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو الحسن نور الدين الأشموني، تحقيق: حسن حمد، إشراف: د. إميل يعقوب، لبنان، دار الكتب العلمية للنشر، 1998م.

12- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجبل بيروت دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون طبعة.

13- الفعل: زمانه، وابنيته، تأليف: د. إبراهيم السامرائي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م.

14- الكتاب ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنمبر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت بدون ط.

15- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: 188/1، غازي مختار طليمات، دمشق، دار الفكر، ط1، 1416هـ- 1995م.

16- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، بيروت دار عالم الكتب، ط3، 1403هـ- 1983م.

17- معاني النحو، للدكتور فاضل السامرائي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث، ط1، 2007م.

18- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط3.

19- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418ه، 1998م.